٥

أطفال العالم

خمارويه بن أحمد بن طولون
(خمارويه والأسد زُريق)

تأليف
د. عطيات أبو العينين

رسوم
أحمد أمين

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أبو العينين ، عطيات .
خمارويه بن أحمد بن طولون : (خمارويه والأسد زريق)
تأليف : عطيات أبو العينين. ؛ رسوم : أحمد أمين .
- القاهرة : دار المعارف ، (٢٠٠٩) .
٣٦ ص ؛ ٢٥ سم (أطفال حكموا العالم ؛ ٥) .
تدمك : ٩ - ٧٢٩٧ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨ .
١- القصص العربية التاريخية . ٢- قصص الأطفال .
٣- خمارويه ؛ أحمد بن طولون ، ٨٦٤ - ٨٩٦ .
أ) أمين ، أحمد . (رسام) ب) العنوان .
جـ) السلسلة .

ديوى ٨١٣,٠٨١

رقم الإيداع ٤٦٥٨ / ٢٠٠٩ ٧/ ٢٠٠٧ /٦٨

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

قال أبو الجيش خمارويه:

★ «إنَّ الفارسَ الشجاعَ لا يفرُّ منَ الميدانِ وَإنْ ضحَّى بحيَاتهِ».

★ «لمْ أتعود الاستسْلامَ فِى المعركةِ. سأقاتلُ حتَّى النهَاية».

★ «علَّمنِى وَالدى أحمدُ بنُ طولُون أنَّ الإرادةَ تصنَعُ النَّصْر».

دخلَ حاجبُ القصرِ مهللاً فِى سعَادة:

- إنهَا البشرَى يامولَاى.. إنهَا البشرَى

صَاح أحمدُ بنُ طولونَ:

- ماذَا وراءكَ يارجُل؟

أجابَ الحاجبُ بصوتٍ مرتعشٍ منْ فرْطِ السعَادة:

- لقدْ وضَعت الأميرةُ «مياس» صبيًّا كالبدْر ليلةَ تمامِهِ..

انتفضَ «أحمدُ بنُ طولونَ» فِى سعادةٍ، وراحَ يتلقَّى التهانِى بمقْدم الطفلِ السعيدِ منَ الوزرَاء وكبارِ رجالِ الدولةِ، وأقيمَت الأفراحُ وذبحَت الذبائحُ وأجزلَتِ العطايَا فرحًا بالمولُود، وراحَ ابنُ طولونَ يهدهدُ ابنهُ فابتسمَت الأميرةُ «مياس» وهىَ تسألُ زوجهَا بوَهَنٍ:

- هَل اخترتَ لهُ اسمًا يامولَاى؟

أطرقَ «أحمدُ بنُ طولونَ» قليلاً يفكرُ ثم قالَ:

- سوفَ أسمِّيهِ.. خُمَارويه..

بالرغم من أنّ «خُمارويهِ» لمْ يكنِ الابن الأول «لابن طولونَ» ولاَ الابن الأخير، فقدْ أنجبَ ابنُ طولونَ منَ الأبناءِ ثَلاثة وثلاثينَ، وَلكنَّ سعَادته «بخُمَارويه» كانتْ لا حدَّ لهَا؛ لأنهُ رزقَ بهِ فِى نفْس السنةِ التِى تولَّى فيهَا أمورَ الحكم فِى مصرَ، ولذلكَ فهوَ يستبشرُ به خيرًا..

كانتِ العيونُ تتطلعُ نحوَ العبّاس، الابنِ الأكبرِ «لأحمدَ بن طولُون» كمَا هو المعْتاد فِى ذلكَ الوقْت، وكانَ منَ الطبيعِى أن يخلفَ أباه، فِى الحكْم، ولكنْ شاءتِ الأقدارُ عكْس ذلكَ..

عمـدَ «أحمـدُ بـنُ طولـونَ» إلى تنـشـئةِ «خُمارويـه» تنشـئةً عسْـكريةً، فتعلّـم فِى حدَاثة سِنه الفروسيَّة والمبارزَة وفنونَ الحرْب والقتـالِ. فنشـأَ منذُ طُفولته صبيًّا ذَا سَـطْوةٍ

إذَا ركبَ فرسَــهُ، صارَ كالكوكبِ المتألقِ فى سَمَائه، وقدْ حبتهُ الطبيعةُ بخصَال زادتْ منْ سطوتهِ وهيْبته، فقدْ كانَ طويلَ القامَة.. عريضَ المنْكبين.. قويًّا.. جسُورًا.. ذَا قلبٍ مُتوهج كأنهُ قطعَة منْ جبلٍ أَوْ جمرةٍ منْ نار.. لا يخشَ أحدًا إلاَّ الله ويخشَاه الجميعُ.. حتَّى الوحُوش والحيوانَات المفْترسة كانتْ تقفُ أمامهُ ذليلةً كسِيرة، ويبدُو هوَ بجانبهَا كالوحْش الكَاسِر..

ذاتَ يــوم كانَ أحمــدُ بنُ طولونَ، يمشِــى فى حديقةِ القصْر، وبجوارِه يمْشِــى صَاحبهُ ونديمهُ القاضِى «بكار بن قتيبة»، وبالقربِ منهمَا جوادهمَا.. بينمَا كانَ «خُمارويه» يبارزُ أحدَ الجند الذِى كانَ يقومُ بتدريبهِ بالسيْفِ.

نظرَ لهُ والدهُ «أحمدُ بنُ طولونَ» بإعجابٍ بينمَا يصيحُ بنُ قُتيبة:

– مَا شاءَ الله.. مَا شاءَ الله.. هذَا الشبلُ منْ ذاكَ الأسَد، إننِى أرَى يَا مولَاى، أَنَّ «خُمارويه» يتقدمُ بسرعةٍ فِى فنونِ القتالِ والمبَارزة، معَ حداثةِ سِنِّهِ..

يضحكُ بنُ طولون مؤيدًا بإعجَاب لابنهِ..

– أجلْ يا بكار.. لكننِى خائفٌ عليهِ. فالصَّبى فيهِ صُرَعَةٌ وبطْشٌ شــديدان، فلمْ يستمتعْ بسنِى الطفولةِ الجميلَة ككلِّ الصِّبيَة.

رَدَّ ابنُ قُتيبة:

– ألســتَ أنتَ يا مولَاى الذِى اخترتَ له هذَا الطريقَ؛ لكىْ يكونَ فارسًــا وبعثتَ به إلى قائدِ الجندِ لكىْ يُنشِّئَهُ نشأةً عسْكريَّةً؟

يجيبُ «ابنُ طولونَ»:

– بالطبع يَا «ابنَ قُتيبة». فالظروفُ التِى نمرُّ بهَا بعدَ استقلالنَا عنِ العباسيينَ تحتاجُ إلَى فرسَان أَشدَّاء يقومونَ بحمَاية مصرَ والدفاعِ عنهَا، وأتمنَّى أنْ يكونَ «خُمارويه» كذلكَ.

ردَّ «ابنُ قُتيبة»:

– جميعُ أبنائكَ يامولَاى، خرجُوا كذلكَ رجالًا أشدَّاء أقويَاء، ولكننِى أشعرُ أنَّ حبكَ لخمَارويه يفوقُ حبكَ لجميعِ أبنائِكَ؟!

أجابهُ «ابنُ طولُون»:

– لا تنسَ يا «ابنَ قُتيبة»، أَنَّ خُمارويه، ولدَ فِى نفسِ العامِ، الذِى تولّيت فيه حكمَ مصرَ، لذلكَ فأنَا أستبشرُ بهِ خيرًا.

رَدَّ «ابنُ قُتيبة»:

– أدعُوا الله أنْ يحفظهُ لكَ، ويجعلَ فيهِ الخيرَ دائمًا.

يلمحُ ابنُ طولُون «خُمارويه» وهوَ يشتبكُ معَ مُدربه فيصيحُ رغمًا عنهُ:

– خُمارويه. ابتعدْ يَا خُمارويه.. ليستْ هكذَا تكونُ أصولَ المبارزةِ.

– قلتُ لكَ ابتعدْ..

يقتربُ «ابنُ طولُون» و «بكار» منْ «خُمارويه»، وهوَ يلهثُ ويعدِّلُ منْ هِنْدامهِ وهوَ يقولُ:

– لقـدْ كنتُ أريدُ أنْ ألقنهُ درسًـا فِى أُصول المبَارزةِ يَا أَبِى. فالجندىُّ الذِى يسـقطُ منهُ السيفُ أثناءَ المبارزةِ لَا يصلحُ أنْ يكونَ جنديًّا.

ابتسمَ «ابنُ قُتيبة» وقالَ لهُ:

– هذَا الذِى تخشَى عليهِ يامولَاى. لقد أطاحَ بسيفِ مُدربه وكادَ يَقتلهُ.

وهذَا مَا يقلقنِى عليهِ يَا ابنَ قُتيبة، فالسيفُ غدّار مثلمَا يقتلُ العدوَّ قدْ يقتلُ صَاحبهُ.

– أنـتَ مازلتَ تنظـرُ إلى «خُمارويه» عَلى أنهُ الطفلُ الصغـيرُ المدَلَّلُ. لمْ تَرَهُ وهو يلعبُ النشّاب والكرةَ والصولجانَ فِى الميدَان الكبيرِ وسطَ الأمرَاء والوزَراء، فيبدُو بينهمْ كالكوكبِ المنيرِ، لهُ مهَابة وشكيمَة كأنهُ خُلِقَ ليكونَ سُلطانًا.

وهذَا ما أفكرُ فيهِ حقيقةً يا ابنَ قُتيبة.

مَا الذِى تفكرُ فيهِ يامولَاى؟

ولَاية العهدِ. سوفَ أجعلهَا لخُمَارويه.

– مولَاى. لا تتعجَّل يا مولَاى فِى اتخاذِ هذَا القرَار الخَطِير.

– ابنَ قُتيبة. لا تتجاوزِ الحَدَّ.

– معـذرةً يا مولَاى. فالثقـةُ التِى أَوْليتنى إياهَا، وحبِّى لكَ همَـا اللَّذانِ يَدفعانى لذلكَ القـوْل. أنتَ تعـرفُ أَنَّ جميعَ الأنظارِ تتجهُ نحـوَ العبّاس ابنكَ الأكـبر، والعبّاس يعدُّ نفسَه لذلكَ.

لَا يــا ابــنَ قُتيبة. العبّاس لا يصلحُ لأنْ يكــونَ حاكمًا منْ بعدِى. لقــدْ علمتُ أنه يتصلُ بالعباسيينَ فى بغدَاد منْ ورَاء ظهْرى.

– لكنــكَ بذلكَ ســوفَ تثيرُ العداوةَ بينَ الأشــقَّاءِ، وســتوغِرُ قلبَ العبّــاس عَلى أَخِيه «خُمارويه» بلَا دَاعٍ لذلكَ..

تغيرتْ لهجةُ «ابنُ طولونَ وقال لهُ»:

– إننِــى لا آخــذُ رأيكَ، إننى فقطْ أطلعكَ على هذَا الأمرِ، لأنكَ أَقرب إنسَــان لِى يَا «ابنَ قُتيبــة»، ويجبُ أنْ تكونَ كذلكَ معَ «خمَارويه» مِنْ بعْدِى وهَــذهِ وصيَّتِى التِى أتمنَّى منكَ أَنْ تصونهَا.

أدامَ الله عزَّ مولَاى، وأطالَ عُمره وأبقاهُ لمصرَ وأهلِهَا.

احتشدتْ جموعُ المصريينَ، وخرجُوا إلى الصَّحراء، يحملونَ معهُم المصَاحف، يدعونَ الله أنْ يخففَ عنْ خَليفتهم، أحمد بن طولُون مِمَّا ألمَّ به مِنْ مرضٍ شَديدٍ.

توافدَ الأطباءُ على قصْر ابنِ طولون، منْ كلِّ مَكَان، حتَّى يجدُوا علاجًا له ولكنَّ الأمرَ صَارَ دقيقًا للغَاية. فقدِ ازدادَ المرضُ عَلى ابنِ طولُون، وأصبحَ لَا يَقوى عَلى تحمُّل مَهَام الخلَافة، وَجميــع كبَار رجَــال الدولةِ منْ وزرَاء وأمرَاء وأبنَاء الأميرِ جميعًا، وَعلى رَأْســهم الأَميرُ «خُمارويه»، وَلىُّ العهدِ دخلوْا ولمْ يخرجْ أَحدٌ منهُمْ. وراحَ كلٌّ منهُم يتسَاءل:

– أَىُّ أزمَةٍ هذهِ التِى تعرَّضَ لهَا الخليفةُ العظيمُ وَأقعدته الفرَاش!

شـعرَ الخليفةُ أنهُ يقتربُ منْ نهايتـهِ، فطلبَ أَنْ يتحدثَ إلى ابنـهِ الأميرِ خُمارويه، اقتربَ الأميرُ منْ والدهِ وهو يقولُ:

– أبِى. أبِى

– خُمارويه. تعالَ ياولدِى.

– خُماوريه أرجوكَ يَا أبِى، لاَ تجهدْ نفسكَ فِى الحديثِ.

– دعْنـى يَـا «خُمارويه» أحدثكَ فقدْ لا تسـمعُ هذَا الحديثَ بعـدَ الآنَ يَا بُنىَّ. اعلمْ أنَّ المسئوليةَ التِى سأتركهَا لكَ جسيمَة، ولكننِى عَلى يقينٍ منْ أنكَ ستكونُ أهلًا لهَا..

تسـيلُ الدمـوعُ منْ عيْنى «خُمارويه» ويصيـحُ أبِى. إننِى لَا أريدُ مُلكًا ولَا سُـلطانًا، بلْ أريدكَ أنتَ.. أنتَ يَا أبِى.

ينتبهُ «ابنُ طولُون» منْ غيبوبتهِ وهو يقولُ:

– خُمارويه. لقدِ اخترتكَ لتكونَ سلطانًا منْ بعدِى، يجبُ أنْ تعرفَ يَا بنىَّ أَنَّ السلطنةَ ليسـتْ هِى العِز، والجَـاه، والأَمْر، والنَّهى، والتمتُّع بِمَلذَّاتِ الحياةِ. لكنَّ السـلطنةَ هىَ تحقيقُ العدلِ بينَ الناسِ.

أبقاكَ الله لنَا وأطالَ فِى عمركَ يَا أبِى.

خُمارويه. كنْ قريبًا منَ الناسِ يحبوكَ، قَتِّرْ على نفسِكَ لتسْعدهم. وليكنْ معكَ – دائمًا – كتابُ الله وسُـنةُ رسُـوله. اعملْ بهمَا تبلُـغ مَا تتمنَّاه، أَمَّا لـو تركتهمَا ووليتَ وجهكَ عنهمَا، غابتْ عنكَ السلطنةُ يا بُنى.

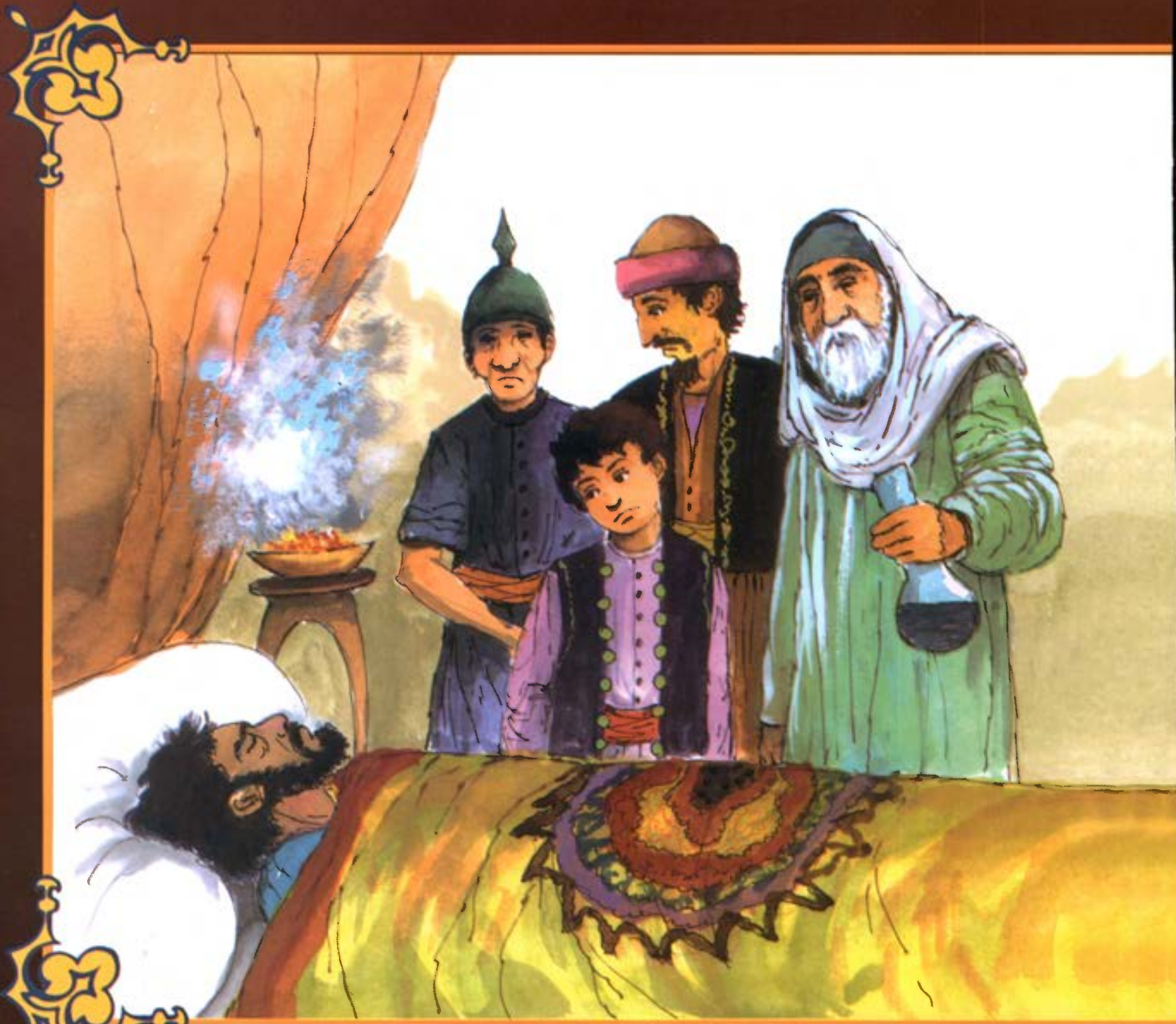

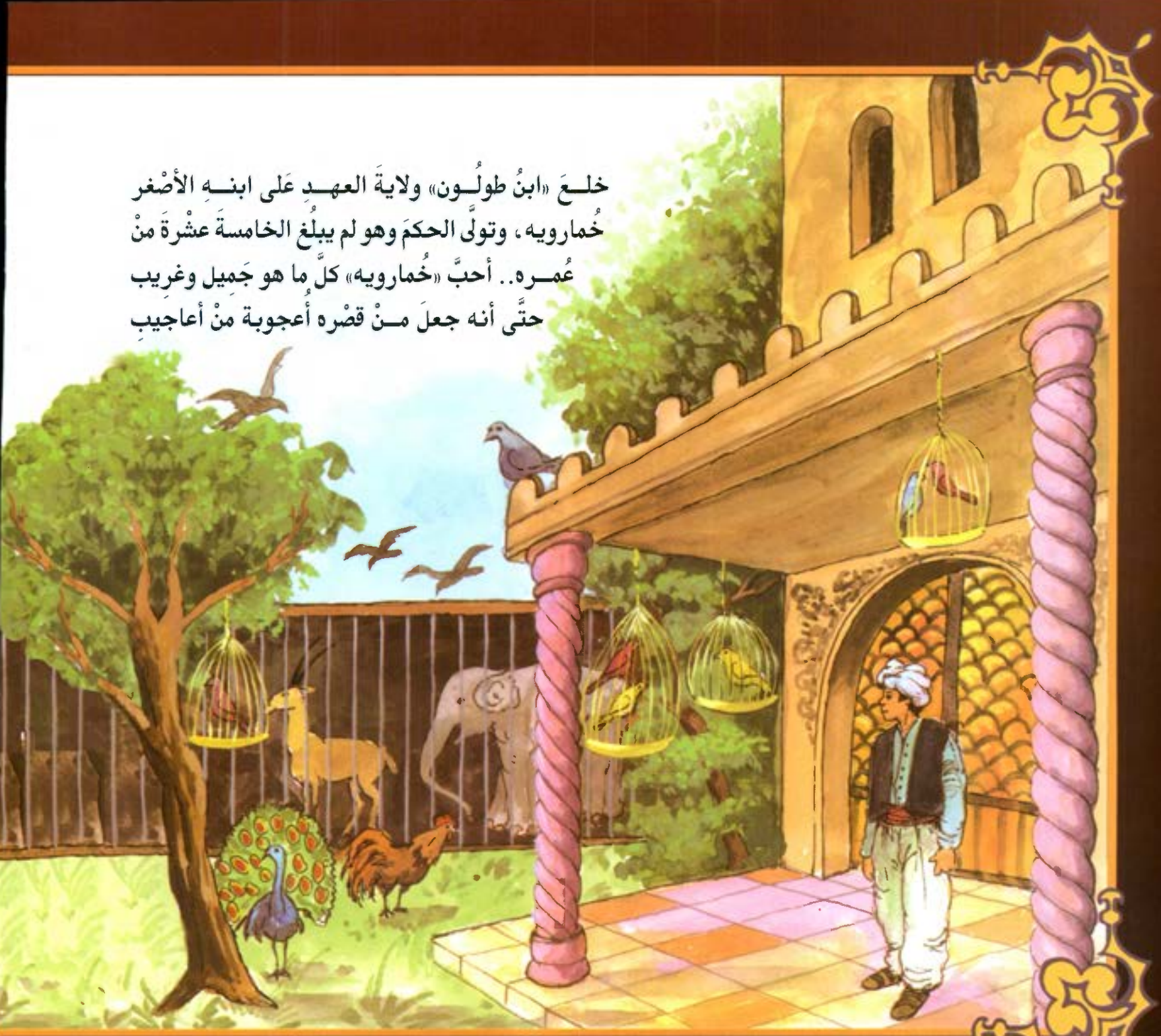

خلـعَ «ابنُ طولُـون» ولايةَ العهـدِ عَلى ابنـهِ الأصْغر خُمارويه، وتولَّى الحكمَ وهو لم يبلُغ الخامسةَ عشْرةَ منْ عُمـره.. أحبَّ «خُمارويه» كلَّ ما هو جَميل وغريب حتَّى أنه جعلَ مـنْ قصْره أعجوبة منْ أعاجيبِ

الزمانِ، وغَريبة منْ غرائبِ الدنيَا.. تمتّع «خُمارويه» بهوَايات كَثِيرة.. هوَى تربية السِّباع والزرَاف وَاشْتد ولعُهُ بتربيَة الطيورِ والفِيلَة.. وامتلكَ فى قصْره حظَائر لكلِّ أنواعِ الدوَاب.

مَنْ يدخلُ قصرَ خُمارويه، يسمعُ أصواتَ مئَات الطيورِ والعصَافير والبلابلِ وهىَ تُغرد بأصواتهَا الجَميلة العذْبة.. كانتْ أسعدَ أوقَات خُمارويه هِى التِى يقضيهَا وسَط بُستانهِ العجِيب مُستمتعًا بطُفولتهِ التِى توارتْ رغمًا عنهُ خلفَ تاجِ الملكِ، وهو حدثٌ صَغِير، لمْ يكْمل الخامسَةَ عشرةَ منْ عمره.

شغفَ السلطانُ «خُمارويه» بالطيورِ.. أحبهَا كأبنائهِ، وأشرفَ عَلى إطعامهَا وَأماكنَ نومهَا فِى أعشاشهَا بنفسهِ.. قرأَ «خُمارويه» عنهَا وعنْ أنواعهَا.. كيفَ تعيشُ.. كيفَ تأكلُ.. موَاسم تكاثرهَا. هامَ حبًّا بمخلوقَات الله مِنْ حيواناتٍ ونباتاتٍ وطُيور.. كانتْ أَحب الأوقاتِ عندهُ هى التِى يقضيهَا بالقربِ مِنْ طُيوره وحيوَاناته.

استيقظَ «خُمارويه» منْ نومهِ ذاتَ يوم، وكعَادته أحبَّ أَنْ يقضىَ بعضَ الوقتِ بصحْبة طُيوره وحيوَاناته، ولكنْ ترددَ فى القصْر كَلامٌ غريبٌ. استدعَى «خُمارويه» رئيسَ الحرسِ بدَارِ الذهب وسَأله:

– مَا الأمرُ يا كبيرَ الحرَّاس؟

ردَّ الرجلُ بحزنٍ شديدٍ:

– الأمرُ خطيرٌ يامولَاى، الطيورُ حَزينة، صَامتة عنِ الغنَاء. لمْ تعدْ تتحرَّكُ وتطيرُ كَعَادتهَا..

سيطرَ عَلى «خُمارويه» أمرُ الطيورِ الحزينةِ فى أَسْرهَا.. فكَّر «خُمارويه» كثيرًا ولكنهُ لمْ يتوصَّل إلى سببِ حزْنِ الطيورِ، استدعَى الأطباءَ ومَنْ لهمْ خِبرةٌ فِى تربيةِ الطيورِ والحيَوانات، ولكنْ لمْ يستطعْ أحدٌ التوصُّل إلَى سببِ توقفِ الطيورِ عنِ الغناءِ.. عَكّر ذلكَ مِنْ صَفْوه وكدَّر عليهِ مَنَامَهُ..

كانَ «خمارويه» قد وضعَ الطيورَ فِى أقفاصٍ ذَهبية جميلَةٍ، وذهبَ فِى إغْفَاءةٍ ليجدَ نفسهُ وسطَ مجموعةٍ كبيرةٍ منَ الطيورِ، تقتحمُ عليهِ القصْرَ وتحاولُ أنْ تنقرهُ بمنقارهَا، فِى ثورةٍ عَارمة، اجتمعَ فيهَا الحمامُ باليمَامِ والطَّاووس الجمِيل، بالدجَاج الحبَشى، ووجدَ الطَّاووسَ يتحدثُ إلى الدجاجِ الحبَشى..

الطَّاووس: إلى متَى سنظلُّ فى هذَا الأسْر؟

الدجَاجُ الحبَشى: لقدِ انتزعونَا منْ أحضانِ أمهاتنَا وقبيلتنَا، ولمْ يكتفُوا بذلكَ بلْ وضعونَا، فِى أقفاصٍ لنختنقَ، كيفَ سَتُرفرفُ أجْنحتُنا؟!

الطَّاووس: كيفَ يتحملُ طَاووس جميلٌ مثْلى وجسَده رقيقٌ مثْل جسدِى هذَا السجنَ، ويطلبونَ منَّا أن نبعثَ فى قلُوبهم السعادةَ والأملَ، بلْ يطالبونَ الطيرَ بالغنَاء.

الدجاجُ الحبَشى: إنهمْ واهمونَ، إنَّ الطيرَ لا يمكنُ أَنْ يغردَ فِى الأسْر حتَّى ولو كانَ فى قفصٍ ذَهبى..

الطَّاووس: لنْ نكفَّ عنْ ثورتنَا، حتَّى يحققَ السلطانُ مطالبنَا.

الدَّجاج الحَبَشى: نعمْ.. ومطالبنَا ليستْ كثيرَة ولا صَعبة، نحنُ نريدُ الحرية، وَأَنْ ننعمَ بالعيشِ، معَ أسرنَا وقبائلنَا.

الحمام: أينَ ذلكَ الزمانُ الجميلُ الذِى كنَّا فيهِ نلتقِطُ الحبَّ ونشربُ منَ الجداولِ، ونطيرُ هنَا وهناكَ، ونقفُ علَى أغصَان الشجرِ كمَا نشاءُ لَاحَسيبَ ولَا رَقيب..

استيقظَ السلطانُ «خُمارويه» منزعجًا منْ هذَا الحلْم، ولكنهُ أرادَ أنْ يضمنَ بقاءَ الطيورِ بالقصْر، فكرَ «خُمارويه» كثيرًا، وأرسلَ إلى المهندسينَ والفنانينَ والبنائينَ، فِى القصْر ليبتكرُوا حلًّا لهذهِ المُشْكلةِ، وبعدَ أيام مُتواصلة منْ عناءِ التفكيرِ، والجهْد المتواصِل، وصلَ «خُمارويه» للحلِّ ابتكرَ شكلًا جديدًا ساحرًا، تتحدثُ عنهُ الناسُ فِى كلِّ مكانٍ وزمَان..

استقرَّ رأىُ «خُمارويه» عَلى بنَاء برج خَشَبى مَنْقوش، يزينهُ النقشُ البارز، وهوَ نوعٌ منَ الفنونِ يعشقهُ الكثيرونَ فِى مصْر، بَلْ وَيُجيدونهُ كانَ هذَا البرجُ بدلًا منَ الأقفَاص..

حفَر «خماروية» أنهارًا لطافًا يجرِى فيهَا الماءُ، فيدير السَّواقى وتسْقى النباتاتِ والزرُوع.. أطلقَ فى البرجِ الخَشبى أصنافًا كثيرةً من الطيورِ منهَا الحمَام البرِّى، وَهُوَ مصْرى وحجَازى وعرَاقى، وعرفَ أنَّ أفخرَ أنواعهَا الحمَام المصْرى.. بلونِ دَّاكِن..

أَتَى خمارويه بكلِّ طائرٍ يستحسنُ صَوته فهوَ يعشقُ الغناءَ وأصوَات البلابلِ، واعتادَ خمارويه أن يستيقظَ معَ طيورهِ، فيذْهب إليهَا ليسمعَ شقشقتهَا وَيُنعمَ نظَره بهَا وهىَ تشربُ وتغتسلُ منَ الأنهارِ..

لَمْ ينـسَ «خمارويه» أَنْ يبنىَ لهَا أوكارًا فِى جوْف الحوائطِ، لتفرخَ فيهَا الطيورُ ووضعَ لَهَا عيدانًا تقفُ عليهَا، وتنادِى بعضهَا بعضًا، فكانَ يعيشُ وسطَ طيورهِ كأنهُ يفهمُ لغتهَا.. أَتَى بطيورٍ عَجيبةٍ فِى جمالهَـا، أَخَّاذة فِى ألوانهَا، ومنهَا الطَّوَاويسُ فكلُّ طاووسٍ ألوانهُ تختلـفُ عنِ الآخرِ، حيثُ الألوانُ البديعةُ المتناسـقةُ الَّتِى تدلُّ علَى عظمَة خالقهَا، وأَتَى بدجَـاج الحبَش، وهوَ صنفٌ يأتِى من بلاَد الحبشـةِ يتميزُ بألوانـهِ الجَميلةِ وغيرهمَا منَ الكائناتِ العجِيبة الجمِيلة، ولكنهُ حرصَ أَنْ يأتىَ بعائلاتهَا ليحققَ مطالبَ الطيورِ..

وكانـتْ تربطـهُ قصةٌ معَ كلِّ طائرٍ منْ طُيوره، فَإِنْ مرضَ طائرٌ لا يَسْـتريحُ ولا يهنأُ لـه بَـالٌ ولا يأكلُ ولَا يشـربُ، حتَّى يعـودَ طائـرهُ لطبيعتهِ منْ جديدٍ، فيعُـود هـوَ لحياتهِ ويتناولُ طعامَه..

أقامَ «خمارويه» لنفسهِ بجوارِ البرجِ الخشَبى دارًا أسماهَا دارَ الذهبِ، طَلىَ جدرانهَا بالذهبِ الخَالص واللَّازورد، ورسمَ الفنانونَ صُورته بحجمٍ كبيرٍ بالخشَب البارزِ، عَلى حَوَائط دَار الذهَب.. وصـوّرَ الفنانونَ المُغنيات فِى قصْره، وجعلُوا عَلى رُءُوسهنَّ الأكاليلَ مـنَ الذهبِ والجوَاهـر المرصـعَة، وفِى آذانهـنَّ الأقراطُ الثقيلةُ، وقدْ لُونت أجسـادهنَّ بألوانٍ تُشـبه الثيابَ الحَقيقية، تجلّت فيهَا ألوانُ الفنانينَ الجمِيلة، فكانتْ دارُ الذهبِ بقصْـر السـلطَان «خُمارويه» أعجبَ مَا بُنى فِـى الدنيَا، وكانَ يقفُ بالقـربِ منَ الطيورِ ويقولُ لهَا:

– لقدُ حققتُ مطَالبكُم.. تُرى هلْ تحققونَ مَا أتمنَّاهُ.

فتأتيهِ شقشقةُ الطيورِ، تصدحُ بالغناءِ فيسْعد ويمرحُ ويبدأُ يومَه منْ دارِ الذهبِ..

زرعَ «خمارويه» فِى بُستانه ، أنواعًا كثيرةً منَ الريَاحينِ ، وصُنُوف الشجرِ فحملَ إلَى البستَانِ الشَّجر المطعَّم . كَمَا أحبَّ «خمارويه» الورُود ، فتفنَّنَ فِى زَرع أنواعٍ كَثيرةٍ منهَا ، وملأ البستانَ بنبَاتِ الزعْفران ، الذِى أحبَّهُ كثيرًا . كسَا «خُمارويه» أجسَامَ النخلِ نحاسًا مُذهبًا ، فكانَ يتلألأُ تحتَ الأضواءِ فيخْطفُ العقولَ والألبابَ.

اكتملَ جمالُ اللَّوحةِ الفنيَّةِ الَّتِى رسمهَا «خمارويه» فِى بُستَانه العجِيب، فكانَ الماءُ يَجْرِى بفتحَات صنعهَا داخلَ أجسَامِ النخِيل، فازدَادت الصورةُ جمالًا وإشراقًا.

عشقَ «خمارويه» أشجارَ النخيلِ، فأرسلَ رجالَهُ إلى خُرَاسان، ليَأتوا لهُ بأنواعٍ نَادرةٍ منهَا، وأرسلَ أيضًا إلى المدائنِ يعلنُ عنْ كلِّ منْ لهُ خِبرة فِى تنظيم وتنسيقِ الزُّهور، فأتَى بكل بُستانى لهُ خبرةٌ فنظَّمت الزهورُ والورودُ وأشجارُ النخيلِ، عَلى شكلِ نُقوش وكتابَات تَعهَّدهَا البُستانى، بحيثُ لَا تزيدُ ورقةٌ عنْ ورقةٍ، فيختلفُ المعنَى أو يختلُّ الشكلُ المنظومُ، فيصعُب قِرَاءته، وبذلكَ اخترعَ «خُمارويه» لغةً جديدةً تتحدثهَا النباتاتُ والأشجارُ بنظامهَا المتنَاسقِ البدِيع.

انشـغلَ «خمارويه» بأحوَالِ الرعيَّةِ فِى مصْر، وبأعبَاءِ الحُكْم ومسـئُوليَّاته، وظلَّ ليالٍ طويلة يعَانى السهدَ والأرَق، وحارَ معهُ الأطباءُ فلمْ يجْدِ معهُ الدَواءُ.

أرسلَ «خمارويه» يعلنُ فِى أنحاءِ مصرَ وضواحيهَا، أنَّ مَنْ يستطيعُ علاجَهُ، سوفَ يغدقُ عليهِ خيرًا كثيرًا، ويُقربهُ منهُ فِى الحكْم، ويكونُ طبيبهُ الخَاصّ.

اسـتقبلَ القصْر كلَّ يوم عشَرَات الأطبَّاء.. أشارَ عليهِ أحدُ الأطباءِ بالتَّكْبيسِ إلَّا أنهُ أنفَ منْ ذلكَ وقال لهُ:

- لا أستطيعُ أنْ أتحمَّل يدًا غريبَةً عَلى جَسدِى.

فَكَّرَ الطبيبُ وفكَّر ثم قال لهُ:

- مَا رأيكَ يا مولَاى فى بركةٍ منَ الزئبق؟

تعجَّب «خُمارويه» منْ كلام الطبيب، إلَّا أنهُ استحسَن الفكرةَ لغرابتهَا، وهوَ يَهْوَى كلَّ غريب وطريف، فبدَاخل الحَاكم العظِيم طفلٌ صَغير، لَمْ يكبرْ بعدَ وقال لهُ:

- ماذَا.. برْكَةٌ منَ الزئبق؟

قال لهُ الطبيبُ:

- نعـم يَا مولَاى فالزئبقُ يسـاعدُ عَلى راحَة الأعصَاب، ويسـاعدكَ عَلى النوم العميق، فيتجددُ نشاطُك، وتعودُ الحيويةُ إلى جسَدك المتْعَب، فيداعبُ النومُ عَينيْكَ المسَهَّدتيْن.

أمرَ السلطانُ «خمارويه» عَلى الفور بحفْر البركةِ وملأهَا بالزئبق. وبعدَ أنْ أتمَّ المهندسونَ الحمَّـام، صـارَ تحفةً معماريَّةً غريبَة عَلـى هذَا الزمَان، وكانَ كلُّ مـن يراهَا يتعجبُ منْ جمالهَا، وغرابتهَا فِى آنٍ واحدٍ.

نزلَ «خمارويه» بزورقِهِ يهدْهدهُ ماءُ الزئبقِ، كأنهُ يركبُ زورقًا يسبحُ فيهِ نحوَ القمرِ فاختلطَ ماءُ الزئبقِ، بضياءِ القمرِ، فرأى منظرًا عجيبًا لَمْ يرهُ إنسانٌ قبله. ولأولِ مرةٍ ينامُ فيهَا خُمارويه، منذُ فترةٍ طويلةٍ، نومًا هادئًا مُريحًا..

فِى الصباحِ استدعَى «خمارويه» الطبيبَ، وأمرَ لهُ بمكافأةٍ عظيمةٍ، وقد أجزلَ لهُ العطاءَ، وقربهُ منهُ بأنْ جعلهُ طبيبهُ الخاص، الذِى يشرفُ علىٰ علاجِ السلطانِ.. فرحَ الطبيبُ فرحًا شديدًا، وشكرَ السلطانَ «خمارويهِ» لعطْفه الشَّديدِ عليْهِ، ووفائه بوعْده لهُ، وذاعتْ شهرةُ الطبيبِ فِى كلِّ أرجَاءِ مصرَ والبلَادِ المجاورة..

وذاتَ يومٍ أحسَّ «خمارويه» بالمَلَلِ والضِّيقِ فأشارَ عليه طبيبهُ قائلًا:

– مولاىَ لماذَا لا تخرجُ للصيدِ كَعَادتكَ، لقد مرَّت فترةٌ طويلةٌ منذُ آخرِ مرةٍ خرجْتَ فيهَا للصيدِ؟

راقتِ الفكرةُ لخمارويه وقال لهُ:

– عندكَ حقٌّ فأنَا محتاجٌ لمثلِ هذهِ الرحلةِ بعيدًا عنْ متاعبِ الحكْمِ، ومشكلاتِ القصْرِ التِى تثقلُ كَاهِلى.

خرجَ «خمارويه» للصيدِ فِى جرْأةٍ وشجَاعة كعَادته.. دارَ قتالٌ عنيفٌ بينهُ وبينَ أَحَدِ الأُسودِ الضَّارية.. كانتِ المعركةُ شَرسة.. لكنَّ «خمَارويه» كانَ خصمًا قويًّا، حاورهُ وناورهُ، ومارسَ معهُ كلَّ الأساليبِ التِى تعلّمهَا فِى فنونِ القتالِ، حاولَ جندُهُ وخدمُهُ إقناعهُ بالتخلِّى عنْ هذَا الصيدِ وترْكه يمضِى خوفًا عليهِ ولكنهُ رفضَ بشدةٍ وقالَ:

– إن الفارسَ الشجاعَ لا يفرُّ منَ الميدانِ وإنْ ضَحَّى بحَيَاته.

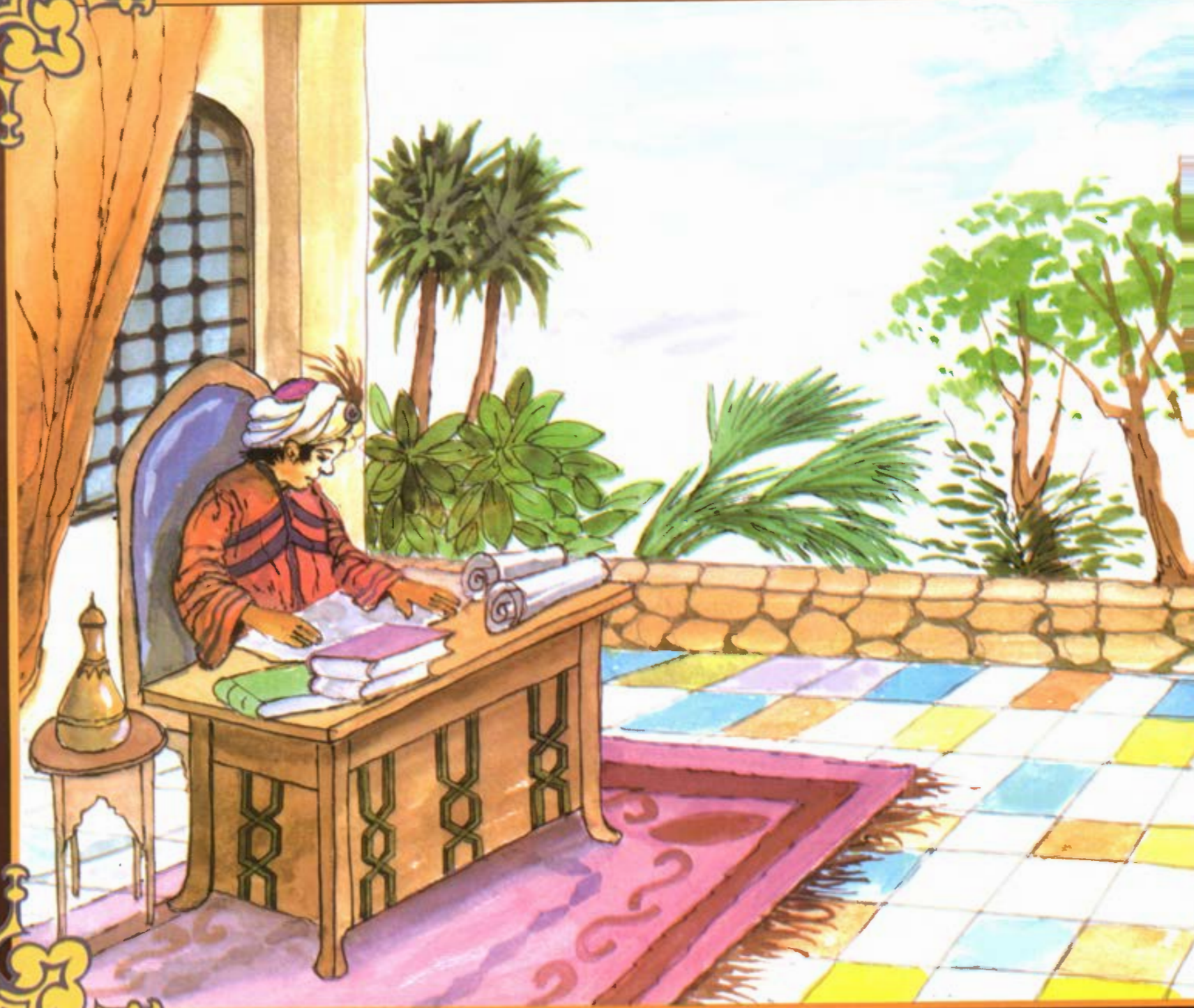

حبـسَ الجميعُ أنفاسَـهمْ، وانتظَرُوا اللَّحظةَ الحاسمَةَ، فقدْ دَارت معركةٌ شـديدةُ الضَّراوةِ استطاعَ أنْ يتغلبَ «خمارويه» عَلى الأسدِ، وَكَبَّلَهُ بالسَّلاسل وصحبهُ مهزومًا معهُ إلَى القصْر..

أحبَّ «خمارويه» الأسدَ حبًّا جمًّا واختارَ لهُ اسمَ «زُريْق» فقد كانَ أزرقَ العينيْنِ، واستطاعَ «خمارويه» أنْ يسـتأنسَ الأسـدَ زُريق، فكانَ يتبعهُ أينمَا ذَهَب.. بلْ كانَ يطلقهُ فى القصْر يمشِى بحريَّةٍ دونَ أَنْ يؤذىَ أحدًا.. كانَ كلُّ مَنْ يدخلُ القصْر يتعجَّبُ منَ الصَّداقَةِ الحميمَةِ التِى نشأتْ بينَ خمَارويه وأَسَده زُرَيْق..

ومـنَ المثيرِ حقًّا أنَّ «زُريقَ» لمْ يكُن يتناولُ طعامهُ إلَّا مـعَ خُمَارويه، فإذَا أُعِدت المَائدة أقبـلَ زُريق، وربضَ بينَ يَدى «خمَارويه» فِى اسْتسـلام وضعْـف، فيرمِى لهُ «خمارويه» الدجَـاجَ وقطعَ اللحـم الكَبيرة، الوَاحدة تلوَ الأُخرى، حَتَّى أحـبَّ «زريق» خمَارويه حبًّا كبيرًا وصَار يتبعهُ أينمَا ذهبَ. أَمَّا إذَا نامَ «خمَارويه» جلسَ الأسدُ «زُريق» ليحرسهُ محلِّقًا بذرَاعيْهِ عَلى جَانبى سَريره، فلاَ يستطيعُ أنْ يقتربَ منه أحدٌ مادامَ نائمًا.

فِى الصباح دخلَ «خمارويه» عَلى رجَاله فى القصْر، مرتديًا عمامَةَ الأمير، وفِى وسطهَا تلمعُ لؤلؤةٌ زرقَاء، تتلألأُ بلونِ السَّماءِ الصَّافية، وتتموَّجُ بلونِ البحر، تُعطى ألوانًا غريبةً، وتنْبعثُ منهَا أضواءٌ فُسـفورية تجذبُ النظرَ إليهَا، كمَا تعلوهَا خصْلةٌ بيضَاء منَ الشَّعر، وعَلـى وجهـهِ سمَاتُ الأمير. يتبعهُ أسـدهُ زُريق ذُو العينيْنِ الزرقاويْـن وهو يزأرُ زئيرًا مُخيفًا، فيبتعدُ عنهُ رجالُ القصْر فِى خوفٍ. يمْشى «خُمارويه» حتَّى كُرسى الحكْم فيجْلس عليهِ، وعندَ قدميْه يجلسُ زُريق، فيعْبثُ «خمارويه» فِى لبدتهِ وَطوقه.

راحَ «خمارويه» يتأملُ القصْر، بينمَا العمالُ يقومونَ بعَمل بعْض النقُوش عَلى الجدرَان.. يقتربُ ابنُ قُتيبة فِي خوفٍ وهوَ ينظرُ إلَى الأسدِ ويقولُ بصوتٍ مضْطرب هناكَ أمرٌ خطيرٌ يامولَاى، مَا كنتُ أريدُ أَنْ أبلغكَ بهِ ثُم تردد وتلعْثم.. ولكنهُ عادَ يقولُ لهُ:

– إن الأمانةَ التِى حمَّلنى إياهَا الأميرُ «أحمدُ بنُ طولونَ» رحمهُ الله تُحتِّمُ علىَّ أنْ أخبركَ.

ردَّ «خمارويه»:

– أقبلْ يا «ابنَ قُتيبة».. لا تخفْ. ماهذَا الأمرُ الجَلل؟

ردَّ «ابنُ قُتيبة»:

– لقدْ علمتُ أنَّ الخليفةَ العباسِى بعثَ إلينَا ابنهُ «أَبا العبَّاس» عَلى رأسِ جيشٍ جرَّارٍ لمحاربتنَا، وليعيدَ مصرَ إلى الخِلَافة العباسيَّة مِنْ جديدٍ.

ردَّ «خمارويه» بثقةٍ عَالية:

اطْمئِن يا «ابنَ قُتيبة».. فقدْ أخبرنِى أبِى بهذَا الأمرِ قبلَ وفاتهِ وأتوقعهُ بينَ لحظةٍ وَأخْرى.

ردَّ «ابنُ قُتيبة»:

– وماذَا تَرى يامولَاى، وجيشُ العباسيينَ قد خرجَ مِنْ بغدادَ وفِى طَريقهِ إلى دمشْق؟

– نحنُ عَلى أَتمِّ استعدَادٍ لملاَقاته يَا «ابنَ قُتيبة».. فَلْيجهَّز الجيشَ ويكونُ عَلى أهْبة الاستعدَاد قبلَ أَنْ يصلَ أبُو العباسِ إلَى دمشْق، وسأكونُ أنَا عَلى مُقدِّمَةِ الجيْشِ.

هتفَ «ابنُ قُتيبة».. لكَ النصْر بإذنِ الله يَا «خمَارويه يَا ابنَ طُولُون»..

استعدَّ الجيشُ، وَانطلقتِ الأبواقُ استعدادًا لبدَاية المعرَكة. واتخذَ الجنودُ أماكنهمْ عَلى ظهورِ جيَادهم، وكلٌّ منهمْ يحملُ سيفهُ مستعدًّا لقتالِ جنُود العباسيينَ، الذينَ يفوقونَ جيشَ «خمَارويه» فِي العددِ والعتَاد، ويحملونَ أحدثَ الأسلحَة لمحَاربة الطُّولُونيينَ.

جلسَ «خمَارويه» عَلى حصَانه بجانبه «ابنُ قُتيبة» ، وقدْ أرسلَ ببصَره إلى بعيدٍ وهو يصيحُ:

يالـهُ من جيشٍ جـرَّار يامولَاى. لَمْ أعهدْ فِي حياتِي جيشًـا كهذَا. كأَنَّ العباسـيينَ قدْ أرسلُوا إلينَا كلَّ جنودِهم ليقاتلوننَا.

– لا تخفْ يَا «ابنَ قُتيبة». سَنَنْتصرُ عليهمْ بإذنِ الله.

لكننَـا يـا مولَاى لا نملكُ سـوَى قليلٍ منَ الجندِ، وبعضِ الأسـلحَة القديمَةِ، وليسـتْ كسلَاح العبَّاسِيينَ.

– وماذَا ترَى يا «ابنَ قُتيبة»؟

– مـولَاى. لا تنـسَ أنَّ «أبَا العباس» ابنَ «الخليفةِ المقتدرِ» يمـُّت لكُم بصلةِ قرابةٍ، ولوْ عقدنَا معهُ هُدنةً، قَدْ نحقنُ الكثيرَ منْ دمَاء المسلمينَ عَلى الجانبيْن.

انفعلَ «خمَارويه» وقال لهُ:

– لَا يا ابنَ قُتيبة. لَمْ أتعوَّدْ الاستسلامَ فِي المعركةِ. سأقاتلُ حتَّى النهَاية.

لكنهـمْ يامولَاى أسـقطُوا منَّـا الكثيرَ.. ولا تنـسَ أنَّ عددَهم يفوقُ عددنَا منـذُ البدايةِ بأضعَافٍ مُضَاعفة.

– لَا يهُم.

احذرْ يَامولَاى. إنهمْ يقتربونَ منَّا. مولَاى.

تكاثرَ حولَ «خمَارويه» عددٌ منَ الجندِ اشتبكَ معهمْ فِى قتالٍ عنيفٍ، واختفَى «ابنُ قُتيبة» منْ مَكانه، ولمْ يُسْمَعْ سوَى صوتِ «أبِى العبَّاس»، يصيحُ بينَ جنودِهِ وكأنَّ قدْ أصابتهُ نوبَة هِيسْتيرية، وَفى حالةٍ منْ عدم التصْديق:

– صاحَ فِى الجَمِيعِ لقدْ فرَّ «ابنُ طولونَ» بنفسِه يَا جنُودى.. لقدْ فرَّ.. لقدْ فَرَّ.

ولمْ يكنْ بجوارِ «خمَارويه» أحدٌ منْ جُنده، فاختفَى خلفَ الجبَال العَالية.

وراحَ «أبو العبَّاس» يردُ أنَّ «خمَارويه» قدْ فرَّ منَ الميْدان، وأرسلَ «أبُو العباس» ورفاقُهُ ضَحِكاتهم فِي كلِّ مكَانٍ، فِي زهْوٍ وانتصَار وَخَلفهم الجيشُ المنتصِر، وَفي المؤخرَة الأسرَى منْ جيشِ «خمَارويه» ومنْ بيْنهم «ابنُ قُتيبة» ، وراحَ «أبو العبّاس» يقولُ لجنْده:

– دعوهُ وَاهبطُوا عَلى خيمتهِ، واستولُوا علَى ما فيهَا. ولنتجهْ إلى مصْر.

يَا لهُ منَ انتصارٍ سهْل «يَا رمَاح» . مَا كنتُ أحسبُ أنَّ المعركةَ ستنتهِي بهذهِ السرعَة، حتَّى «خمَارويه ابنُ طولُونَ»، لمْ يسْتطع الصُّمودَ فِي الميْدان، حتَّى ينتصِف النهارُ يَا موْلَاى، ماذَا كنتَ تنتظرُ منْ هذَا الطفْل المدَلل، يَا رمَاح. إنهُ لا يقوَى عَلى الحرْب والمبارزَة وَالقتَالِ.

يردُّ رمَاح:

– لكنْ يا مولَاى ما كانَ ينبغِي أنْ نتركَ «خمَارويه» يفلتُ منْ أيدينَا، فقتْلهِ أَوْ أَسْرِهِ خيرٌ منْ أنْ ندعَهُ يهرَبُ.

ردَّ «أبو العبّاس» بثقةٍ عَالية:

– قبلَ الليل سيأتيكَ خبرهُ يا «رمَاح» فلَا تتعجَّل، فقدْ أرسلتُ خلفهُ «صِنديدَ» المبارز العتيدِ، والجُنـدىُّ العنيدُ، وأنتَ تعلمُ شَرَاهة «صِنديد» فِي تقفِّي الأثر والقتَال، كمَا أَرْسـلْتُ بعضَ الجنودِ الأقويَاء الذينَ لا يشقُّ لهُم غُبار، لهذَا دَعْكَ منْ هذَا الأمرِ فهذهِ مَسْألة مُنتهيَة.

فجـأةً يتقـدمُ أحدُ جنـودِ «أبى العبَّاس» ، وهـوَ يعتلِى حصَانه، وقدْ بـدَا عَلى وجههِ الانزعَاج الشدِيد، يقتربُ منهُ «أبو العبَّاس» وهوَ يضحَكُ، بلْ تتسعُ ضِحْكتهُ حتَّى تتحولُ إلى قَهْقهةٍ عَالية، وهوَ يقولُ:

– مَنْ هذَا المدلُ الذِى لا يقوَى عَلى الحرْب والقِتَال؟

ردَّ «رماحُ» وصَوته يتحشْرجُ منَ البكَاء.

– مولاَى. لقدْ عثرنَا عَلى جُثةٍ وسطَ الصحْراء.

– ألمْ أقلْ لكَ يا «رمَاح» سَيأتينَا خبرُ «خمَارويه» قبلَ الليلِ.

– لكنَّ الجثَّةَ التِى عَثرنَا عَليهَا ليسَت لخمَارويه.

– لمَنْ إذنْ يَا رجُل. تكلَّم؟ .

– إنَّهَا.. إنَّهَا.. يتلعثمُ «رماحُ» ولا يستطيعُ أنْ يتفوَّه ولكنَّ «أبا العبَّاس» يصيحُ مَنْ هوَ؟ منْ يكونُ؟ ردَّ «رماحُ» بصوْتٍ وَاهنٍ:

– إنهَا للقائدِ «صِنديد» ياموْلاَى.

تبدلَ حالُ «أبى العباس» ، فلمْ تكَد الضحكَاتُ تستقرُّ فِى مكانهَا عَلى شفتيْه، حتَّى حلَّ محلهَا الانزعَاجُ والدهشَةُ، فامتعضَ وجههُ، وارتعدَ قلبهُ وبينمَا هو يصدرُ الأوامرَ للجنودِ، عندئذٍ يدوِّى صوتٌ عالٍ يتردَّدُ صدَاهُ فِى أنحَاء الصحرَاء، ويبرزُ «خمارويه» فِى جمْع مِنْ رفَاقه منْ بينِ صخُور الجبلِ، كأنهمْ رؤُوس الشياطِين، شاهرينَ سُيوفهم فينقضُّونَ عَلى جيْش «أبِى العبَّاس» عَلى غِرَّةٍ.

راحَ «خمارويه» يبارزُ أكثرَ منْ فارسٍ فِى وقتٍ واحدٍ، فيقتلُ منهُم العديدَ ويهبطُ عَلى خيمَة «أبِى العباس»، فيضْرمُ فيهَا النَّارَ، ويستوْلى عَلى مَا بهَا مِنْ مُؤَن.. بينمَا يسودُ هَرْجٌ وَمَرْجٌ فِى جيشِ «أبِى العباس»، ينتشرُ الجيشُ فِى مكَانه، ويتحولُ إلَى أشلاَء ممَزقة فِى الصحْراء الواسعَة حيثُ لاَ مَاء ولاَ طعَام فيموتُونَ عطشًا وَجُوعًا.

استجمعَ جيشُ «خمَارويه» قوتهُ وهوَ يتوسَّطُهم وعَلى وجْهه علامَات الانتصَار والجميعُ يهنئونهُ.. وانضمَّ إليهم «ابنُ قُتيبة» ، عادَ الجيشُ منتصرًا وسطَ هتافَات الشعب وَفرحته بالانتصَار، وَقد انطلقَ الأذانُ منْ أعْلى مِئذنَة جَامع والدهِ «أحمدُ بنُ طُولون» ، فرحًا بانتصَار «خمَارويه» والنَّاسُ يرقصونَ وَيُصَفِّقونَ تعبيرًا عنِ الانتصَار، وَهُمْ يرددونَ هَذَا الشبلُ منْ ذاكَ الأسَد.

جلسَ «خمارويه» وسطَ البستَان مزْهوًّا بانتصَاره وهوَ يداعبُ أسدهُ زُريق، بينمَا التَفَّتْ حولهُ حيواناتهُ التِي يحبهَا، وراحَ يقصُّ عَلى كلٍّ منْ فِي القصْر، كيفَ انتصرَ عَلى أبى العبَّاس، وهوَ يقولُ لهُم:

عَلَّمنى وَالدِى «أحمدُ بنُ طولونَ» أنَّ الإرادةَ تصنعُ النصْر..

ردَّ ابنُ قُتيبة: هنيئًا لكَ يامولَاى.. دامَ عزُّكم.. ودائمًا مِنْ نصْر إلى نصْر.

راحَ «خمَارويه» يوزعُ الهدايَا فكافأَ كلَّ منْ بالقصْر، بلْ وزَّع الغنائمَ عَلى مصرَ كلِّهَا ولمْ ينسَ صديقَهُ «الأسَد زُريق» ، فكَّر «خمَارويه» ، ماذَا يُقدم لزُريق وبعدَ تفكير أهداهُ «خمَارويه» طوقًا جميلاً منَ الذَّهبِ الخَالص، علَّقه فِي عُنقه لشدَّةِ حبهِ لهُ فكانَ الأسدُ سعيدًا للغَاية..

لَمْ يكنْ «خمَارويه» مولعًا بالسِّبَاع فقطْ، وَإنمَا كانَ يهْوى كلَّ أصْنافِ الدوابِّ وكانتْ لديهِ حظَائر للجمَالِ وَالفهُود والزرَاف والفيلَة، وجميعُ أنواعِ الحيَوانات، فكانَ قصْره أعجُوبة مِنْ أعاجِيب الزَمان، وَغريبةٌ مِنْ غرائبِ الدنيَا.

وذَات يوم خرجَ «خمَارويه» كعَادته للصيْد والتنزُّه، فِي هذِه المرَّة طالَ غيابُ «خمَارويه» ، وشعرَ «زُريقً» بغياب صَاحبه، كانَ يتجوَّلُ بالقصْرِ يبحَثُ عنْ صديقهِ، انتظرَ «زُريق» عودةَ خمارويه لكنهُ لمْ يأتِ.

حزنَ «زُريق» عَلى صَاحبه حزنًا شديدًا، امتنعَ عنِ الطَّعام والشرَاب حتَّى أصابهُ النُّحولُ والذُّبــولُ.. وكلمَا طالَ غيابهُ يــزأرُ زئيرًا حزينًا تتقطَّعُ لهُ القلوبُ كأنهُ ينعِى صديقَهُ الذِى فقدهُ وَينَاديه.. وَيبْكى أنيسَــهُ الذِى رحلَ وَيرْثيه.. لقدْ أصبحَ المكانُ موحشًــا بدونهِ، ولمْ يطلْ به الحالُ فقدْ ماتَ حُزنًا عَلى صَاحبه ووفاءً وإخلاصًا لهُ.

* * *

خمارويه فى سطور

- هو خمارويه وقيل خمار بن أحمد بن طولون، التركى، السامرى المولد، المصرى.
- اسمه أبو الجيش خمارويه ملك مصر والشام وكانوا يدعونه أيضا «بأبو الحسن» خمارويه.
- ولد عام ٢٥٥ هجرية.
- بايعه الجند فى العاشر من ذى القعدة سنة سبعة ومائتين أى أن سنه كان خمس عشرة سنة عندما تولى الحكم.
- كانت مدة حكمه على مصر والشام اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما.
- أقبل خمارويه على عمارة قصر أبيه وزاد فيه محاسن كثيرة وأخذ الميدان الذى كان لأبيه المجاور للجامع فجعله بستانا رائعا.
- صار خمارويه أميرا على الموصل ٨٨٨ م – ٧٢٥ هـ .
- لم يعمل خمارويه بنصائح والده أحمد بن طولون، وأسرف إسرافا شديدا، فقد أسرف خمارويه خصوصا فى زواج ابنته قطر الندى، فقد أنفق على جهازها إنفاقا يفوق الأساطير حتى أصبحت خزانة مصر خالية من الأموال.
- استأنف خمارويه جهاده ضد الروم، ففتح طرسوس وملورية. ولقد كان لهذه الانتصارات أثرها على الروم، إذا حملتهم على طلب الصلح. ولكن كان مقدرا لخمارويه أن لا يعيش حتى يرى ثمرة جهاده.
- مات خمارويه فى الثالث من ذى الحجة عام ٨٩٥ م – ٢٩٢ هـ .

سلسلة أطفال حكموا العالم

صدر منها:

١ – الإسكندر الأكبر .

٢ – بطرس الأكبر .

٣ – بيبى والقزم دنج .

٤ – الإمبراطور المغولى أكبر .

٥ – خمارويه بن أحمد بن طولون (خمارويه والأسد زُرَيْق) .

٦ – الناصر محمد بن قلاوون .

٧ – الحاكم بأمر الله الفاطمى (عدو الملوخية) .